الشيخ أحمد الزوي، وتوظيفه لملكة الشعر في خدمة علوم الشريعة 1971م-1997م

د. علي البهلول الحاج علي حسن
قسم اللغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة كلية التربية طرابلس- جامعة طرابلس

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/25، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية: الشيخ ، أحمد الزوي ، علوم الشريعة ، ملكة الشعر.

المقدمة

تأتي هذه الورقة البحثية للتعريف بإحدى الشخصيّات العلمية في البلاد الليبية، وتوظيفه لملكة الشعر في خدمة علوم الشريعة، وهي شخصية لا يعرفها كثير من مشايخ العلم وطلبته، والعذر في ذلك أن الشيخ توفي في ريعان شبابه، فلم يتجاوز عمره السادسة والعشرين، وكأنما اختزل عمره في وفرة عقله، إذا نظرنا إلى نتاجه العلمي الجمّ، وتآليفه جاءت على نوعين، هما: منثور ومنظوم، قليلها رأى النور، وأمّا جلّها فما زال حبيس الأرفف عند عائلته.

وقد تسنّى للباحث أن يتتلمذ على يديه، ويدرس عليه جملة من العلوم، منها: الفقه، وأصوله، والمواريث، والحديث، والنحو، والأدب، والعروض، وغير ذلك، كما نال الباحث شرف الحصول على إجازات منه، منها إجازته لمنظومة الشفعة بعد عرضها عليه، وعن طريق الباحث وصلت إلى طلبة العلم.

أمّا عن الشيخ وصلته بعلم العروض والقافية -وهو من علوم الآلة- فإنّ درايته كبيرة بهذين العلمين، كما أن له طريقة ناجعة في تعليم الناشئة كتابة الشعر؛ تعتمد على كثرة الحفظ للأشعار والمتون، وصقل التلامذة بعد ذلك بدراسة علمي العروض والقافية.

وستتناول هذه الورقة التعريف بالشيخ الزوي، وتوظيفه لمقدرته الشعرية في نظم المتون العلميّة؛ لذا وسمت بعنوان: الشيخ أحمد الزوي، وتوظيفه لملكة الشعر في خدمة علوم الشريعة، من خلال بعض منظوماته، وهي: منظومة رائدة الفرائض في علم المواريث، والشفعة في الفقه، والمرشدة اللطيفة في التصوّف.

ودفع الباحث لكتابة هذه الورقة الأسباب الآتية:

1- أن شخصية أحمد الزوي لم تعط حقّها من البحث والدراسة؛ لعدم دراية كثير من البحاث والدارسين به وبنتاجه العلمي.
2- لا توجد دراسات نقدية حول منظومات الشيخ، تبرز قيمتها العلمية.

ويهدف الباحث من خلال هذه الورقة إلى:

1- التعريف بالشيخ أحمد شهاب الدين الزوي، وإبراز القيمة العلميّة والثقافيّة لتراث هذا العلم الجليل.
2- دراسة منظومة رائدة الفرائض في علم المواريث، والشفعة في الفقه، والمرشدة اللطيفة في التصوّف دراسة نقدية.

وتتمثّل مصادر هذه الورقة في الرواية الشفويّة التي تداركها الباحث من الضياع والاندثار، وفيما طبع له من مؤلفات، وما هو مخطوط، وما هو مسجّل بالصوت فقط، والصوت والصورة معا.

واعتمدت الورقة المنهج الوصفي وإجراءاته المتمثلة في استقراء المادة وجمعها، وتصنيفها وترتيبها، وتحليلها وشرحها، ومقارنتها وموازنتها، واستخلاص النتائج منها.

ولا يعلم الباحث دراسة تناولت الشيخ الزوي بالدراسة، سوى دراسة موضوعها فقهيّ، ولا تتقاطع مع ورقتي هذه إلّا في التعريف بالشيخ الزويّ، وهي دراسة الباحث الدكتور الطاهر العياشي أبو نوارة، تحت عنوان: دور الشيخ أحمد الزوي في الحفاظ على الهوية الدينية الليبية، المنشور في مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد: السادس (عدد خاص2)، ديسمبر 2022م.

وقد قسّمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين هما:

المبحث الأول- التعريف بالشيخ الزوي.

المبحث الثاني- دراسة نقدية حول منظومات الشيخ.

الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج التي توصّل إليها الباحث مشفوعة بالتوصيات.

والله وليّ التوفيق

المبحث الأول
التعريف بالشيخ الزوي

اسمه ونسبه:

هو الشيخ أحمد شهاب الدين بن أحمد نور الدين بن يحي بن محمد الكريم بن عبد الرحمن الكبير بن يوسف بن مفتاح الصفراني بن جابر بن رخيص بن عبد الله بن حمودة بن محمد الكبير بن سليمان الفيتوري بن سالم بن خليفة بن عبد الله بن عمران بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد القادر بن أحمد بن عبد الله بن إدريس الثاني بن إدريس الأول، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم[1].

مولده ونشأته:

ولد الشيخ -رحمه الله تعالى - بداية شهر أبريل عام واحد وسبعين وتسعمائة وألف بمدينة طرابلس الغرب بمنطقة شارع الزاوية، وبيت العائلة مقابل لمدرسة (شارع الزاوية المركزيّة) في أسرة عرفت بالعلم والتدين، فأبوه الشيخ أحمد نور الدين -كما أخبرني الشيخ أحمد الزوي- كان صاحب علم وورع، ومع ذلك كان ليّن الجانب يحبّ الأدب وظرفه، ويمازح جلساءه وزائريه ببعض تلك الملح، ومن ذلك -ما حدّثني به الشيخ أحمد الزوي- أن أحدًا اشتكى لوالده ظلم قرابته له، وأخذ يقص على الشيخ أحمد نور الدين جورهم وتعدّيهم عليه، فأراد الشيخ أن يسلّيه ويطفئ نار الغضب التي ظهرت على قسمات وجهه فأنشده:

أقاربك العقارب فاجتنبهم ** ولا تـــركن إلى عمّ وخالِ
فكم عمٍّ أتـــاك الهمُّ منـــه ** وكم خالٍ من الخيرات خالِ

فسرّ الرجل بهذين البيتين، وطُرد عنه الحزن، وحلّ محلّه السرور والانبساط، فكان لهذا العلاج النفسي بالغ الأثر في نفس هذا المهموم المحزون، وفي هذه المدرسة التربوية نشأ شيخنا، فسار على نهج آبائه الذين ورثوا هدي المصطفى كابرا عن كابر، بعيدا الغلو والتفريط، وكان -رحمه الله- ينشدنا بيتين لأحد الشعراء الليبيين كنت قد نسيت اسمه:

وروّح النفس دائما بسرور ** بأمور تميل طبعا إليها
وإذا مسّها الزمان بضرٍّ ** فلا تكن أنت والزمان عليها

فتجده دائما حاضر البديهة، واسع الحيلة، يَقْلِبُ مواطن الكدر زهوًا وسرورًا، وأروي له من ذلك أن اثنين من طلبته اختصما على أمر كان بينهما في شراء بطيخ، واشتدّ النزاع بينهما، فنظم الشيخ بعض الأبيات تروي هذه الحادثة، بشيء من الهزل والمزاح أزاح ما كان بينهما من إحن، يقول في مطلع تلك الأبيات:

لمّا اشتهى معاذ[2] (الدلاع) ** وكان منه عقله قد ضاعَ

مسيرته العلمية:

درس -رحمه الله- مراحله التعليميّة في مدارس طرابلس، كما درس القرآن الكريم برواية الإمام قالون على أيدي جماعة من الفقهاء، منهم: الشيخ محمد بن علي الخازمي، والشيخ صبري بن المهدي الهنشيري، كما تلقى القرآن الكريم كاملا برواية الإمام ورش عن نافع بدار القرآن بفاس، وبجامع القرويين على أيدي جماعة من الفقهاء، منهم شيخ القراء بفاس الشيخ المكي بن كبيران وغيره[3].

مشايخه:

تلقى العلوم الشرعية والقانونية على أيادي جماعة من العلماء في ليبيا والمغرب ومصر دراسة منتظمة، كما درس في البلدان التي زارها بعض الكتب الحديثية وعلمي التوحيد والتصوّف، ومن مشايخه: الشيخ عبد الكريم بن محمد الداودي، والشيخ عبد العزيز بن الصديق الغماري، والشيخ أحمد بن علي الخواص، وغيرهم[4].

تلاميذه:

درّس -رحمه الله- علوم اللغة والشريعة في زاوية سيدي نصر القادرية في طرابلس الغرب، فتتلمذ على يديه جماعة كبيرة من طلبة العلم، وقد حصل الباحث على صور من بعض الإجازات التي منحت لهم بخط الشيخ (رحمه الله)، منهم:

(1) ينظر: أحمد شهاب الدين بن أحمد نور الدين الزوي، المرشدة اللطيفة لزائر الأضرحة الشريفة، الشركة العامة للورق والطباعة، سبها-ليبيا، ص: 3-4.

(2) هو الشيخ معاذ مفتاح التومي، حفظ القرآن الكريم على الشيخ الأمين قنيوه كما درس القرآن على والده الشيخ مفتاح (رحمه الله تعالى)، وقام محفظا للقرآن الكريم في مسجد إبراهيم قصودة بطريق السور طرابلس، وهو حاليا خطيب بمسجد الثلثي بطريق المطار، كان حريصا على حضور دروس الشيخ الزوي، وكان الشيخ كثيرا ما يزوره في كتّابه الذي كان يدرس فيه.

(3) ينظر: أحمد شهاب الدين بن أحمد نور الدين الزوي، متن رائدة الفرائض (في علم المواريث)، منشورات زاوية سيدي نصر القادرية، الشركة العامة للورق والطباعة، سبها-ليبيا، 1997م، ص: 2-3.

(4) السابق، ص: 2-3.

صاحب هذه الورقة، والشيخ الدكتور خالد محمد الحراري[1]، والشيخ الدكتور الصادق سلامة[2]، والشيخ محمد السوسي[3]، والشيخ داوود حمزة[4].

درايته بالشعر وموسيقاه:

كان الشيخ أحمد الزوي كثير الرواية للشعر، فكان في دروسه دائم الاستشهاد به، وأذكر أنه في مجلس علميٍّ واحد تجاوز استشهاده ثلاثين بيتًا، يأتي بهذه الشواهد لتوضيح المسائل وتذليلها لطلبته، ومرّة مازحنا في درسه وقال بما معناه: ((أنا مستعدٌّ أن أروي لكم في كلّ درس مائة بيتٍ، ولا أعيد بيتًا واحدًا منها في درس آخر، شريطة أن تحفظوا هذه الأبيات، واشترط مازحًا أن نعطيه ربع دينار عن كلّ بيت يقوله))، وقد أخبره أحدهم أن الشيخ عمر الجنزوري -رحمه الله- يحفظ حوالي ستة عشر ألف بيتٍ، فاستبعد ذلك، وقال: أظن أن الشيخ يحفظ أكثر من ذلك؛ لأن هذا العدد من الأبيات يعدّ قليلاً بالنسبة إلى عالم مثل الشيخ عمر.

وهذا الكمّ الهائل من محفوظ الشعر -بطبيعة الحال- ولّد عند الشيخ حاسّة شعريّة مرهفة، وجعل أذنه تميز جيّده من رديئه، وصحيحه من سقيمه، بمجرد سماعه دون حاجة إلى التقطيع الكتابي، يقول ابن خلدون: ((**فمن قلّ حفظُه أو عدِم لم يكن له** شعرٌ، وإنما هو نظمٌ ساقطٌ))، ومما يميز محفوظ الشيخ الزوي أنه كان يروي لشعراء وفقهاء وعلماء البلاد الليبية، واذكر أنه في بعض دروس النحو، وبالتحديد في درس المبني من الأسماء أتحفنا ببيتين للشيخ أحمد الأزمرلي (رحمه الله) كانا غاية في الإبداع والإشارة؛ حيث يقول:

بناء الاسم في ستّ وإني ** أشير له ببيت كالآل
فهمنا شرطهم لما أشاروا ** بأفعال لإضمار الوصال

والجميل ما ترى في البيت الثاني، كيف جمع فيه الشيخ الاستفهام والشرط والإشارة وأسماء الأفعال والضمائر والأسماء الموصولة في نسج صوفيّ رائع، لا يأتي إلّا من شاعر ماهر مبدع، وللأسف لم أجد له ثبتًا إلا رواية الشيخ الزوي التي حافظت على هذين البيتين ونسبتهما.

والباحث تعلّم نظم الشعر على يدي الشيخ أحمد، وبعد وفاته دعمت هذه المعرفة بدروس الدكتور عمر العالم -حفظ الله- في بيته، وقبل أن أكتب بيتًا واحدا من فصيح الكلام حفظت عن الشيخ أحمد مجموعة من القصائد والمنظومات العلمية، منها: لاميّة العجم، ولاميّة ابن الوردي، ولاميّة الشبراوي في النحو، وعقيدة العوام، والمرشدة اللطيفة، ومتن الشفعة، وغير ذلك، وبعد أن أخذت عليه شيئا من علمي العروض والقافية، طلب منّي أن أكتب قصيدة في الشيخ سيدي نصر صاحب المقام الذي بجوار مسجد القصر، فقلت أولى أبياتي، وهي سبعة أبيات، جاءت على بحر الكامل:

دع الكلام وخالف العذال ** وامدح كريما صالحا مفضالا
وارغب لحب الصالحين فإنهم ** تلقى بهم عند المليك نوالا
يا سيد السادات يا نصر الهدى ** يا من إليه فؤادنا قد مالا
فإليك سار العاشقون جميعهم ** يطوون عنهم سملقا وجبالا
إن المحبة للتقاة وحزبهم ** تسقيك في يوم الجزاء زلالا[5]

والشيخ الزوي عزز محفوظه من الشعر بمعرفة علمي العروض والقافية وهذا شيء ملازم للحفظ، يقول عبد العزيز عتيق: ((وإذا كان العروض إلى هذا القدر لازمًا للشاعر الملهم الموهوب، فإنه يكون أشد لزومًا لغيره، فهو أشد لزومًا لطلاب اللغة والتخصص فيها؛ لأنه يعينهم على فهم الشعر العربي وقراءته قراءة صحيحة، والتمييز بين سليمه ومختله وزنًا))[6].

والشيخ أحمد إلى جانب حفظه الواسع كان شاعرًا واسع الخيال، جديد الفكرة، سهل اللغة، يبتعد عن التقعّر والغموض،

---

(1) هو الشيخ الدكتور محمد بن محمد الحراري اليعقوبي نسبة إلى سيدي يعقوب من شرفة مدينة غريان، حفظ القرآن الكريم على الشيخ محمد المدني الأشهب، والشيخ خالد ابن حجر، وهو دكتور أخصائي في علم الأمراض، يعمل بمستشفى طرابلس الطبي، ومدرس قرآن بجامع سيدي خليفة بطرابلس.

(2) الشيخ الدكتور الصادق محمد سلامة، دكتور في الدراسات الإسلامية، وعضو هيئة تدريس بكلية التربية قصر بن غشير، جامعة طرابلس، كان خطيب مسجد سيدي نصر أيام الشيخ أحمد الزوي وبعده، درّس القرآن الكريم وحفظ على يديه جماعة كثيرة من التلامذة، وكان من الطلبة المقدّمين عند الشيخ.

(3) الشيخ محمد عثمان السوسي، كان واسطتي في التعرف على الشيخ أحمد، وكنت بصحبته صباح مساء في أوقات الدروس وغيرها، تولى أمر زاوية سيدي نصر بعد الشيخ (رحمه الله)، وله إجازة من الشيخ في الطريقة القادرية، أخذها عنه شيخنا العالم الجليل الدكتور محمد المنصف القماطي (رحمه الله تعالى)، وهو يعد مرجعية في تاريخ زاوية سيدي نصر، وأخبار الشيخ أحمد الزوي .

(4) الشيخ داوود عياد حمزة، إمام ومحفظ قرآن بمسجد أبي غرارة في منطقة سيدي خليفة بطرابلس، درس القرآن على الشيخ الأمين قنيوه والشيخ أبو عجيلة عتيقة (رحمهما الله) والشيخ عي التير -حفظه الله- بطرابلس، حفّظ كثيرا من طلبة القرآن، وهو أحد القراء المعروفين على مستوى العالم الإسلامي، ومثّل ليبيا في كثير من المحافل الدولية، له ختمة مسجّلة برواية حفص عن عاصم منتشرة في جميع أنحاء المعمورة.

(5) هذه الأبيات الخمسة استحضرتها من ذاكرتي، أما بخصوص الورقة التي كتبت فيها هذه الأبيات فقد أخذها الشيخ مني واحتفظ بها في مكتبته.

(6) عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت، ص: 11.

وما قرأته له من أشعار وما سمعته منه جلّه يدور حول النصح والمديح النبوي، والمديح لأشياخه ومعلّميه، ومن أشعاره قوله:

اعمل بعلمك إن أردت تقرّبا ** من ذي الجلال لكي تفوز وتسعد
واعلم بأن الناس أشقاهم غدا ** عبد عليم لم يكن متعبّدا
والزم كتاب الله واستمسك به ** وبسنة المختار تنج من الرّدى[1]

وقال يمدح شيخه في الطريقة القادرية -الشيخ العربي- في مقدّمته لرسالته (فيض المنان على نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان):

يا شيخي العربي يا علم الهدى ** من نسل طه سيد الأكوان
لك سيدي في المجد أعلى رتبة ** ما نالها في عصرنا من ثان
وبك اهتدينا في ظلام حالك ** لمّا رأينا نورك الرّباني
فامنن علينا شيخنا من فيضكم ** من نور جدّكم الوليّ الداني
أعني به المشهور في كلّ الملا ** فحل الفحول العارف الجيلاني
فالعبد أحمد قد أتاكم خاضعا ** يرجو الوصال بعطفة وحنان[2]

وفيها يقول مشيدًا بلاميّة ابن الوردي بوصفه لهذه اللامية الجميلة، لما حوته من المسائل الجليلة في التصوّف ومكارم الأخلاق:

إن رمــت آداب النبي محمّــدٍ ** عجّل بحفظ نصيحة الإخوان
فهي الملاذ لكلّ من طلب العلا ** ومكارم الأخــلاق يا خلاني[3]

كما مدح نظم عقيدة المرزوقي، وحثّ طلبته على حفظها، وكنت قد عرضتها عليه كاملة، وأعطاني إجازة في ذلك، فقال في مقدمة شرحه لنظم عقيدة المرزوقي، مادحًا إيّاه:

إن رمت عقد الأشعري المرتضى ** فعليك نظم عقيدة المرزوقي
فهي التي فيها النجاة ومتنها ** نور بدا من شمسه بشروق[4]

والشيخ -رحمه الله- مبغض للسياسة، فلا تجده متكلّما فيها، اللهم إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله، وبذلك ينصح طلبته بالابتعاد عنها والاشتغال بالعلم ومدارسته بدل الخوض في هذه (النجاسة) بحسب وصفه؛ إذ يقول:

سألت العارفين عن السياسهْ ** فقالوا لا يليها ذو كياسهْ
فحاذر أن تكون الضلع فيها ** وإن ولّوْك في كرسي الرئاسهْ
فإن الهم موقوف عليها ** وأدناه التنقل بالحراسهْ
فأكل الخبز مع ماء وظل ** أحبُّ إليّ من هذي النجاسهْ[5]

وقد قلت مؤيّدًا لرأي شيخنا ومشطّرًا[6] للأبيات السابقة:

(سألت العارفين عن السياسهْ) ** وأي مناضل أضحت مقاسهْ؟
وما ميزان عقل قد دراها؟ ** (فقالوا لا يليها ذو كياسهْ)
(فحاذر أن تكون الضلع فيها) ** ولو صارت محجّتها قداسهْ
وجانب من أرادك في حماها ** (وإن ولّوْك في كرسي الرئاسهْ)
(فإن الهم موقوف عليها) ** كذاك السامري رأى مساسهْ
وأعظم همها لعنات شعب ** (وأدناه التنقل بالحراسهْ)
(فأكل الخبز مع ماء وظل) ** ونكس زاده الدهر انتكاسهْ
يلازمني الصباحَ مع العشيّ ** (أحبُّ إليّ من هذي النجاسهْ)

وكان للشيخ مع طلبته مساجلات شعريّة، فيتسابق معهم بالشعر على حروف الرويّ، هو لوحده وهم جميعًا، وكان كثيرا ما يرتجل الأبيات ارتجالاً، واذكر مرّة قلت فيها بيت شعر من محفوظي فأعجبه ذلك البيت وطلب مني تكراره مرّة أخرى حتى استظهره، وكان لهذا السباق الشعري دفعة قويّة في نفس الباحث لدراسة الأدب، وبخاصّة الشعر والتخصص فيه، ولا زلت أحاول مجاهدًا اتباع منهجه في تعليم أبنائي التلاميذ الشعر وموسيقاه؛ لما رأيته من جدوى هذا المنهج في تعليم الناشئة وتحبيبهم في أدبهم ولغتهم.

---

(1) المرشدة، ص: 10.
(2) أحمد شهاب الدين بن أحمد نور الدين الزوي، فيض المنان على نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان، طبعة خاصة بزاوية سيدي نصر القادرية، طرابلس-ليبيا، ص: 3-4.
(3) السابق، ص: 4.
(4) أحمد شهاب الدين الزوي، فيض السلام على عقيدة العوام، طبعة خاصة بزاوية سيدي نصر، طرابلس- ليبيا، ص: 4.
(5) هذه الأبيات يرويها الباحث عن الشيخ أحمد الزوي (رحمه الله تعالى).
(6) التشطير: هو أن يعمد الشاعر إلى أبيات لغيره، فيضم إلى كل شطر منها شطرا، يزيده عليه عجزا لصدر، وصدرا لعجز. ينظر: السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، 1409هـ- 1989م، ص: 120.

مؤلفاته:

للشيخ مؤلفات مفيدة في مختلف الفنون مع صغر سنّه وانشغاله بالدراسة، والتدريس والقيام بشؤون زاويته القادرية، ومؤلفاته منها ما هو منثور ومنها ما هو منظوم[1]، فمن مؤلفاته المنثورة:

1- إنارة الدراري فيما علا من سند البخاري"في الحديث".
2- شرح المرشد المعين بالأدلّة في ثلاثة أجزاء "في التوحيد والفقه والتصوّف".
3- شرح لاميّة العجم "في الأدب".
4- شرح عقيدة المرزوقي.
5- فيض العادل في أدلّة السادل.
6- سلطان الأولياء الشيخ عبد القادر الجيلاني.
7- فيض المنان على نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان "شرح لاميّة ابن الوردي".
8- الثبت القادري.
9- التحفة القادرية في شرح العقيدة الجيلانيّة.
10- فيض الوهّاب على ملحة الإعراب "في النحو والصرف".
11- الألفية في المنح الصوفية والملح الأدبية.
12- النعم الربانية في ترجمتي الذاتية.
13- فيض المالك في مناقب الإمام مالك.
14- السلسبيل العذب في التعريف بالشيخ عبد القادر الجيلاني وأعلام القادرية في طرابلس الغرب.
15- طبقات القادرية الكبرى.
16- شرح منظومة البيقوني "في مصطلح الحديث".
17- المنهل الروي في أسانيد الزوي.
18- صفع القفا لمن كفر والدي المصطفى وافترى على الصوفية أرباب الصفى.
19- التحفة الحديثية في الحديث المسلسل بالأولية.
20- جواهر القصر في ترجمة سيدي نصر.
21- فيض المنّان في علوم القرآن.
22- كشف الغامض عن رائدة الفرائض.
23- هبة المعطي في مراتب وقوف الهبطي.
24- إعلام الجاهل المغرور بما لا أصل له من القبور.
25- إفشاء السر المصون بأنباء محنتي في المعتقلات والسجون.
26- إتحاف الفضلاء بتراجم من أجازوني من العلماء.
27- الخارق الحارق في الرد على الزنديق المارق.
28- إضاءة الشموع في بيان الحديث الموضوع.
29- النفحات الزكيّة في الكليّات الحديثيّة.

أما المنظومات التي نظمها الشيخ فهي:

1- منظومة في وجوه النصب عند النحويين.
2- آداب المريد.
3- أحكام الوقف عند المالكيّة "منظومة".
4- منظومة في المناكحات عند المالكية.
5- منظومة في علم الأصول.
6- السلاسل القادريّة "منظومة".
7- أحكام الشفعة عند المالكية "منظومة".
8- المرشدة اللطيفة لزائر الأضرحة الشريفة "منظومة".
9- رائدة الفرائض "منظومة في المواريث".

ولكن لم يطبع من هذه المنظومات إلا المنظومتان الأخيرتان، وهي: المرشدة اللطيفة، وهي مائتان وخمسون بيتًا، ورائدة الفرائض، وهي مثل سابقتها، وللأسف الشديد لم يتناولهما البحّاث بالشرح والدراسة، ولعلّ مردّ ذلك إلى عدم المعرفة بهما، لقلّة انتشارهما في البلاد الليبيّة، وعسى قادم الأيام والأعوام تتحفنا بشروح علمائنا وطلاب العلم لهاتين المنظومتين، أما المنظومة السابقة لهما، وهي (أحكام الشفعة عند المالكيّة) وكانت مائة بيت عرضتها على مؤلفها ولا تزال مخطوطة إلى يومنا

(1) ينظر الرائدة، ص: 11-12.

هذا.

والمتأمل في هذه المنظومات الثلاث يجد أن الشيخ نظمها على بحر الرجز، وكما هو معلوم أن بحر الرجز بحر ذلول، يسهل النظم عليه؛ لذا نجد جلّ المنظومات العلميّة نسجت على هذا البحر، وهذا راجع إلى أنّ ((جوازات هذا البحر كثيرة، وهو أقرب الأبحر من النثر، فسمّوه لذلك حمار الشعراء))[1]، ويحقّ للشاعر أن يغير القافية في كلّ بيت، وهذا ممّا زاد من سهولة النظم عليه بالتخلص من هذا القيد، فالشعراء ((أجازوا تغيير قافية كلّ بيت من أبيات الرجز لكنه يعوّض عن ذلك بالتصريع؛ أي: المطابقة بين الشطرين))[2].

كما سمع الباحث جزءا من (لامية المنصوبات في النحو)، وكان قد سأله أن يضع للطلبة نظمًا في النحو، فكان ذلك، وقد ذكر في بداية نظمه اسم الباحث، والنظم جاء على بحر البسيط، ولا زال مخطوطًا إلى يومنا هذا عند أسرة الشيخ.

أمّا بقية المنظومات فلم يطّلع عليها الباحث رغم مطالباته الكثيرة لأسرة الشيخ، وكذلك فعل غيره من التلامذة والبحاث، ولكن للأسف الشديد لم يظفر أحد منّا بشيء من ذلك، ونحن على قدر حرصنا على إخراج هذا الموروث الغني إلى حيّز الوجود، فإننا نقدر لأسرة الشيخ موقفهم، ولا زلنا في سعينا واجتهادنا حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

وفاته:

سافر الشيخ -رحمه الله تعالى- إلى مدينة "إربد" في المملكة العربيّة الأردنية، في رحلة علميّة لأجل استلام مخطوط لتحقيقه، وفي أثناء هذا السفر تعرّض الشيخ -رحمه الله تعالى- لحادث سير توفي على إثره يوم الأربعاء 14 جمادى الأولى 1418هـ الموافق 1997/9/17م[3] ودفن في طرابلس الغرب (رحمه الله رحمة واسعة)، وقد رثاه بعض المشايخ والتلامذة، كما رثاه صاحب هذه الورقة بثلاث قصائد طوال، ذكر فيها مآثر الشيخ ومناقبه، من ذلك قصيدة كان قد عارض بها قصيدة الشيخ التي قالها قبل وفاته بأشهر قليلة يشكو فيها أحوال الزمان، مطلعها:

درست سنّة خير الخلق مجتهدا ** لأنفع الناس في بلْدي فينتفعوا[4]

فقلت:

يا رفقة النور إن النور منقطع ** وللمنيّة أهوال لها شيع
تدمي قلوبا على الأحباب مصرعها ** ما كان يمنعها عن نزفها ورع
هذا (شهاب) له في النفس منزلة ** ترثيه قافية ميزانها جزع
قطّعت فيها مقامات تخالجني ** من حال منشدها أنفاسه قطع
تبكيك أعينُ مَنْ كحّلت ناظرها ** من نور جدكمُ، والفضل مجتمع
كأن رفعتكم في المجد منشدة ** (مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع)[5]

وقد ذكرت مجالس الدرس وما كان في تلك المجالس من متعة وأنس، لم ير الباحث مثلها، فقلت:

(درستَ سنّة خير الخلق) فانتفعت ** نفوس قوم لها في حبكم طمع
على محجّة خير الخلق ترشدها ** تمضي على هديه الوضاء لا تقع
يا مجلس الدرس كم بيّنت من حكم ** في مدلهمّ وعقل الغرّ منخدع
كانت مجالسه أركان مملكةٍ ** في نفس من سطّرتْ أبياتَه جُمَع
أودعتك الله إذ أسست منهجه ** والخُلْفُ يطلبه والزيغ والبدع
في كلّ فنّ ظننت الشيخ رائده ** وللشواهد في الأذهان منتجع

وقد عرّجت على المساجلات الشعرية التي كانت بين الشيخ وتلاميذه، فقلت:

مساجلات على الأشعار مأنسنا ** تجلو الروي إذا ما قام متبع
وقد يكون ارتجالا قول عالمنا ** بَريقُ أنشودةٍ يرويه مستمع
جَمْعُ التلاميذ صفّ وهو منفرد ** ما كان إنشاده للشعر ينقطع
غارت محاسنه في قبر صاحبه ** لم يبق إلا حديث ساقه ولع

وقد ختمتها بهذين البيتين:

إنّ (الزويّ) نسيج مفرد وله ** لطالب العلم في الآفاق منتفع

---

(1) السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ص: 58.
(2) السابق ص: 58.
(3) الطاهر العياشي أبو نوارة، مقال بعنوان (دور الشيخ أحمد الزوي في الحفاظ على الهوية الدينية الليبية) مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد: السادس (خاص 2) ديسمبر 2022، ص: 438.
(4) هذه الأبيات من مخطوط كتبها الشيخ أحمد الزوي -رحمه الله تعالى- بخط يده.
(5) هذا الشطر للطغرائي في لاميّته المعروفة بلاميّة العجم، والبيت هو:
مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع**والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
ينظر: أبو إسماعيل مؤيد الدين الحسين بن علي بن عبد الصمد الطغرائي، ديوان الطغرائي، تحقيق: علي جواد الطاهر- يحي الجبوري، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة- قطر، الطبعة الثانية، 1406هـ-1986م، ص: 301.

والله أسأل للمحبوب منقلبًا ** (يقول فيه شهاب الدين ذا يسع) [1]

المبحث الثاني

نقد منظومات الشيخ

يحاول الباحث في هذا المبحث تسليط الضوء على بعض الجوانب الفنيّة فيما هو متاح لديه من منظومات الشيخ التي هي بين يديه، ولعل الله يقدّر للدرر المكنونة عند أسرة الشيخ أن ترى النور؛ لتحصل بها الفائدة، وهذا مراد مؤلفها،؛ لتكون مساحة النقد أوسع وأشمل لدى الدارسين والبحّاث.

وكما ذكر الباحث سابقًا أن المنظومات الثلاث كتبت على بحر الرجز، وإن كانت تعالج مسائل فقهية، فإنها اشتملت على سمات أهمها:

الديباجة:

نجد في منظومات الزوي -كما جرت عادة العلماء في نظمهم - يبدؤها برجاء المغفرة، وذكر اسمه ونسبه ومذهبه واعتقاده وطريقته في التصوّف، ويفتتح تلك المنظومات بالحمد عملا بقوله –صلى الله عليه وسلم-: ((كُلُّ كَلاَمٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ، أَوْ قَالَ: أَقْطَعُ))[2]، ويعطر هذا النظم بالصلاة على سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم -ويبيّن سبب تأليفه، من ذلك ما نجده في مطلع منظومته المرشدة اللطيفة؛ حيث يقول:

يقول راجي عفو ربّ غافر ** شهاب الدين أحمد بن القادري
نجل الزوي المالكي مذهبا ** الأشعري الحسني نسبا
باسم الإله أبتدي مقالي ** حمدا له من منعم مفضال
ثم الصلاة والسلام سرمدا ** على النبي الهاشمي أحمد
وآله وصحبه العظام ** والصلحا وسائر الكرام
(وبعد) لمّا كانت الزيارهْ ** للصالحين سنّة مختارهْ
حثّ عليها المصطفى المختار ** وسار وفق نهجه الأخيار
لما لها من نفحة زكيّه ** وحكمة محمودة سنيّهْ
طالعت جل الكتب والمتون ** للفقهاء من ذوي الفنون
فلم أجد من ناظم لوصفها ** أو كاتب رسالة في بابها
فقلت هذا الأمر مما قد غفل ** عن نظمه ونثره القوم الأول
وقد هداني الله بالسبق له ** لأنظمنّ فرعه وأصله[3]

والملاحظ أن الشيخ يختم نظمه بالحمد كما بدأ، ومشيرًا إلى عدد أبيات المنظومة التي نسجها، سائلا العفو والمغفرة، ويختم ذلك كلّه بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومثال ذلك ما جاء في خاتمة منظومة الشفعة؛ حيث قال:

وقد تقضى النظم بالتبيان ** بحمد الله ربّنا المنان
أبياته قد وصلت إلى مائهْ ** أرجو بها حشري مع خير فئهْ
واغفر يا رب لي وللإخوان ** من تابعي إمامنا الجيلاني
وصل رب دائما وسلِّمِ ** على النبي المصطفى المكرم
وآله وصحبه ذوي التقى ** وتابعيهم أهل الفضل والنقى[4]

الاستطراد:

وهو نوع من علم البلاغة دقيق المجرى، غزير الفوائد، يستعمله الفصحاء، ويعول عليه أكثر البلغاء، ومعناه في مصطلح علماء البيان أن يشرع المتكلم في شيء من فنون الكلام، ثم يستمر عليه فيخرج إلى غيره، ثم يرجع إلى ما كان عليه من قبل[5] ، فالشيخ أحمد يعرّج على بعض الفوائد والحكم خلال طرحه لبعض المسائل، ومثال ذلك قوله في متن رائدة الفرائض:

وقدّم الدين على الوصيّهْ ** كما أتى عن سيّد البريّهْ
والله ربّي ذو الجلال قدّما ** وصيّة لحكمة فلتعلم
وهي لأن الدين حقٌّ يطلب ** وصاحب الدين له منتصب

(1) شطر هذا البيت للشيخ أحمد الزوي -رحمه الله- في القصيدة التي عارضتها.
(2) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، 1420هـ - 1999م، رقم الحديث: 8712.
(3) المرشدة، ص: 19.
(4) أحمد شهاب الدين، منظومة (الشفعة)، وهي مخطوطة عند الباحث، عليها إجازة الشيخ أحمد، وكان قد عرضها عليه كاملة.
(5) ينظر: يحيى بن حمزة بن علي الطالبي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، ج: 3، ص: 8.

والدين عكس للوصيّة لذا ** قدّمها ربّي لكيلا تنبذ[1]

وقوله في المرشدة:

وكره التقبيل للأشياء ** غير التي في السنّة الغرّاء
كالحجر الأسود فهو سنّهْ ** وما سواه بدعة مظنهْ
واستثنى منها قبلة الشيوخ ** والوالدين وذوي الرسوخ
إذ وردت في شأنها آثار ** تواترت بنقلها الأخبار
والمالكيّون العظام كرهوا ** للمصحف التقبيل فيما حرروا
هذا هو الوارد في المشهور ** فكيف بالتقبيل للقبور[2]

التناص:

((هو عملية توظيف نصوص: دينية، وتاريخية، وأدبية، وغير ذلك من التراث الإنساني، ووضعها في القالب الأدبي الجديد الذي صاغه الكاتب أو الشاعر؛ أي: إنها عملية امتصاص لما كتبه الآخرون، وتوظيفه بشكل يخدم النص الجديد))[3]، ((ولمغزى المصطلح جذور عربيّة أصليّة، وإن أخذت مسمّيات ودلالات مختلفة، ومع ذلك فهي تصب في نصوص عربية قديمة ومتجددة، وقد تنوّعت مفاهيم تلك الحقول في العصر الحديث ما بين: السرقات، والمعارضات الشعرية، والمناقضات، والاقتباسات، والتضمينات، والإشارات، والتلميحات، والتوليدات، وكذلك الرموز، والاستيعاب، والتمثيل، مع اختلاف الأطر لكل حقل من الحقول، وقد تنوّعت روافد هذا المصطلح في الأدب المعاصر بتأثير مدرسة النقد الجديدة، والأساس في جلّ الروافد هو التناص انطلاقًا من النص الشعري أو النثري، باعتبار النص هو الجوهر المفاهيمي والدلالي الذي يؤخذ منه معطيات المصطلح الجديد))[4].

والشيخ يحسن استعمال آليات التناص في شعره بشكل رائع وأنيق، يضيف جمالا للنصّ، وفي بعض الأوقات يأتي به من غير تغيير في نصّه الأصلي أو تقديم أو تأخير أو نحو ذلك؛ ومثاله قوله:

واجلس منحت الخير في المقام ** بكامل الصمت والاحترام
واقرأ رحمت (قل هو الله أحد) ** عشرا وزدها واحدا كما وردْ
وإن أردت فعل العارفينَ ** فزد عليها يا أخي ياسينَ[5]

ففي البيت الثاني من الأبيات السابقة، وضع الشيخ الآية الأولى من سورة الإخلاص كما هي، وقد يأتي الشيخ بالنصوص في معرض شعره، مستخدما مهاراته من تقديم وتأخير أو تغيير بعض الألفاظ، مراعيا المعنى والوزن، وقد وظفّ حديث النبي –صلى الله عليه وسلم-: ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، ووَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))[6]، فقال:

واعلم بأن الميت لن ينتفع ** في قبره بشيء إلا بالدعاء
من مسلميّ الأمة الأكياس ** أو بعلوم بثّها في الناس
أو بدعاء صالح من نجله ** أو صدقات جاريات باسمه
وغير هذا لا يفيده ولو ** بختمة القرآن فيما قد حكوا
وهذا القول قول المالكيّهْ ** خالفهم في الحكم الشافعيّهْ[7]

وقد أتبع هذا التناص تناصًا آخر من القرآن الكريم، مثل ما صنع مع الآية الأولى من سورة الإخلاص، فضمن قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاَّ مَا سَعى﴾[8] نظمه فقال:

فاعمل بقول مالك الربّاني؛ ** لأنه استدل بالقرآن
فإن الله قال يا من قد وعى ** (أن ليس للإنسان إلا ما سعى) [9]

وهذه الجزئية من البحث شواهدها كثيرة في شعر الشيخ؛ مما دلّ على عبقريّة الشيخ، ومهارته في توظيف النصوص

(1) الرائدة، ص: 17-18.
(2) المرشدة، ص: 23.
(3) ينظر: علي البهلول حسن، بحث بعنوان (البناء الفنّي في شعر الشويرف)، مجلة المعيار، كلية العلوم الشرعية، جامعة طرابلس، العدد: 2، يونيو 2021م، ص: 104.
(4) التناص القرآني في شعر ابن نباتة، أحمد محمد عطا، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الرابع لكليّة الألسن جامعة المنيا، مصر، إبريل 2007م، ص: 86.
(5) المرشدة، 25.
(6) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1420هـ، رقم الحديث: 3653.
(7) المرشدة، 26.
(8) سورة النجم، 26.
(9) المرشدة، 26.

لإقامة الحجة، مراعيًا قيدي الوزن والقافية.

الحكمة: [1]

الحكمة من النعم العظيمة، والخيرات الجسيمة، وهي هبة الله لعباده، وقد أثنى المولى -جلّ في علاه- على صاحبها، فقال عزّ من قائل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[2]، ويروى عن مالك: ((أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ أَوْصَى ابْنَهُ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ جَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ، كَمَا يُحْيِي اللَّهُ الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ))[3]، ومن حكمهم: ((مَن اتَّخَذ الحِكمة لِجاماً اتَّخَذَه النَّاسُ إِمَاماً))[4].

ومن يقرأ منظومات الشيخ يجده بثّ حكما في ثناياها، رغم أنها منظومات علميّة بحتة؛ ولكن تأبى الحكمة إلا أن تبين عن نفسها في ثنايا النظم، فمن ذلك قوله:

فإن وصفت يا أخي بالعاقل ** لا تترك الياقوت في المزابل[5]

ففي البيت السابق حثّ الشيخ سامعه على أخذ الحكمة من أي مكان، حبّه أم كرهه، وبفعله هذا يوصف بكمال العقل ورجحانه، وهذا الهدي أمرنا به الشارع، وهو موافق لقوله –صلى الله عليه وسلم-: ((الحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا))[6]، وبيت الشيخ مآتاه قريب من الأثر الذي يروى عن سيدنا عيسى الْمَسِيحُ (عَلَيْهِ وعلى نبينا الصلاة والسلامُ)، وهو قوله: ((لَا تُلْقُوا اللُّؤْلُؤَ إِلَى الْخَنَازِيرِ؛ فَإِنَّهَا لَا تَصْنَعُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا تُعْطُوا الْحِكْمَةَ مَنْ لَا يُرِيدُهَا؛ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ، وَمَنْ لَا يُرِيدُهَا شَرٌّ مِنَ الْخَنَازِيرِ))[7].

ويؤكد الشيخ أن النفع والضر وما يعتري الناس من أحوال هي من الله وحده، وليس لمخلوق القدرة على ذلك، فيقول:

واعلم بأن النفع والمضرّهْ ** والحزن والبلاء والمسرّهْ

وكلّ خير في الورى أو شرّ ** من الإله ليس من الغير[8]

وهذا الكلام هو ما جاء به الهدي المحمّدي، وأراد الشيخ في البيتين السابقين الإشارة إلى قوله –صلى الله عليه وسلم- لابن عباس –رضي الله عنه-: ((يَا غُلَامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))[9].

ويجعل للولاية شروطًا من توفّرت فيه فهو الوليّ الحق، وكلّ هذه الشروط موافقة لما جاء به الكتاب والسنّة المطهّرة، ومن ظفر بشيخ ممن توفّرت فيه هذه الشروط فعليه أن يلازمه ويأخذ عنه، وفي هذا يقول:

فإن وجدت عالما بالشرع ** وعاملا بالفرض لا بالمنع

وعابدا لله بالشريعهْ ** ذا همّة وخلق رفيعهْ

فهو الوليّ حقا فالزمنه ** واحذر هديت أن تحيد عنه[10]

فوصفه للولاية موافق لمنهج الشريعة بعيد عن الزيغ والخرافات، وعلى هذا الطريق سار علماء هذه الأمة وصلحاؤها، ((فحق على الولي وإن بلغ في الولاية إلى أعلى مقام وأرفع مكان، أن يكون مقتديا بالكتاب والسنة، وازناً لأفعاله وأقواله بميزان هذه الشريعة المطهرة، واقفا على الحد الذي رسم فيها غير زائغ عنها في شيء من أموره))[11].

---

(1) يعرّفها النووي فيقول: ((إِنَّ الْحِكْمَةَ الْعِلْمُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ مَعَ نَفَاذِ الْبَصِيرَةِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ وَتَحْقِيقِ الْحَقِّ لِلْعَمَلِ بِهِ وَالْكَفِّ عَنْ ضِدِّهِ)). ينظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، ج: 1، ص: 461.

(2) سورة البقرة، 269.

(3) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1406هـ - 1985م، ج: 2، ص: 1002.

(4) أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني، الطيوريات، تحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004 م، ج: 2، ص: 583.

(5) المرشدة، ص: 24.

(6) الحديث قال عنه الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَخْزُومِيُّ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ. ينظر: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: 1998 م.

(7) أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، تاريخ النشر: 1419هـ،ج: 2، ص: 188.

(8) المرشدة، 31.

(9) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعةالأولى، 1419هـ - 1998 م، رقم الحديث: 2669.

(10) المرشدة، 32.

(11) إبراهيم إبراهيم هلال، ولاية الله والطريق إليها، تحقيق وتقديم ابن الخطيب، الناشر: دار الكتب الحديثة، القاهرة - مصر، ص: 236.

التواضع على عادة أهل التصوّف:

كسر النفس واتهامها بالتقصير والتفريط نهج تربوي سلكه السادة الصوفيّة (رضي الله عنهم)، وبنوا عليه مدارسهم في التربية والاستقامة، وَرَوَى عَنْ عُمَرَ –رضي الله عنه- أَنَّهُ قَالَ: ((رَأْسُ التَّوَاضُعِ أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ لَقِيتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ تَرْضَى بِالدُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ، وَأَنْ تَكْرَهَ أَنْ تُذْكَرَ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى))[1]، ((وأما التكبّر الظاهر الذي هو التطاول والفخر والتظاهر، فذاك جلي، وهو من أكثف حجب القلب وأقوى صفات النفس، فلذلك فزع العلماء من دقائقه لما عرفوه، فطلبوا القلّة والذلّة للنفس ليمتهنوها بخفايا التواضع، لينتفي عنهم دقائق الكبر لتخلص لهم الأعمال))[2]، وهذا الطابع وسم منظومات الشيخ ومصنّفاته، ففي مطلع (رائدة الفرائض) يتهم نفسه بالعرج موظّفا الآية القرآنية نفسيّا ومعنويّا على خلاف ما أراده تعالى في قوله -عزّوجلّ-: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذاباً أَلِيماً﴾[3]، وقد أحسن في هذا التوظيف؛ حيث قال:

فلم أجد منظومة بهيّهْ ** يحفظها طلاب القادريّهْ
فقلت يا ذا زاحم الرجال ** وانظم بعون ربنا تعالى
فقمت مصحوبا بعون القادري ** بنظمها لكلّ فحل قادري
فإن لحقت ركب العلماء ** فكم لرب العرش من آلاء
وإن بقيت خلفهم لعرجي ** فما على ذي عرج من حرج[4]

ونجد الشاعر في منظومة (المرشدة) بعد نهيه عن تقبيل الأضرحة يذكر أنه يقبّلها، في أبيات يتهم فيها نفسه بالتفريط والتقصير، فهو يقول:

واعلم هديت أنني أقبّل ** أضرحة الكرام لست أعدل
عنها مدى الحياة يا أخينا ** لأننا بحبّهم بلينا
فلا تلمني إنني شقي ** وخذ بقولي أيها التقي
فإن وصفت يا أخي بالعاقل ** لا تترك الياقوت في المزابل
فاعمل بقولي واتركنْ أفعالي ** وخذ من المزابل اللآلي
إن الزوي عاجز[5] حقير ** لكنه بشركم خبير
خذوا العلوم عنه واتركوه ** وفعله الدني لا تسلكوه
فقوله يهدي إلى الجنان ** وفعله يرمي إلى النيران
فاسأل له من ربّك السلامة ** من هول هذا الدهر والقيامة[6]

والأبيات هذه لولا مخافة كتم العلم لما ذكرها الباحث، وكان في عرضه لهذه المنظومة على ناظمها -رحمه الله تعالى- قد تخطّاها استحياء منه، فردّه الشيخ إليها، طالبًا منه عرضها، وكفى بهذا درسًا للتواضع ومغالبة النفس لطلبة العلم.

الخاتمة

ها هي خاتمة الجولة العلميّة وما صاحبها من استحضار لصفحات ماض مشرقة، أعادت إلينا الشوق إلى تلك المجالس، مجالس النفع والعلم، وحرّكت فينا حماسة ممزوجة بالتحسّر والألم، كنت أحسب في يوم من الأيام أن تفتر حدّتها، وتخبو جذوتها، في مدلهمات الأسى والمواجع في هذا الوطن الجريح؛ ولكن هناك من ينير الدرب، ويزيل الكرب، فجزى الله عنّا القائمين على هذا الحدث العلميّ العظيم خير الجزاء، وكنت في بداية أمري مترددا في المشاركة؛ لفتور همّتي، وقصر باعي، ولكن هيأ الله لي الأسباب حتى أنجزت هذا البحث، فكنت كما قال مُجَاهِد: ((طَلَبْنَا هَذَا الْعِلْمَ وَمَا لَنَا فِيهِ كَبِيرُ نِيَّةٍ، ثُمَّ رَزَقَ اللَّهُ بَعْدُ فِيهِ النِّيَّةَ))[7]، فهؤلاء الذين حملوا لواء الشريعة بعملهم هذا قاموا بعمليّة توثيق فريدة، لأولئك العظام، الذين بذلوا وما سألوا، واهبين أنفسهم لخدمة هذا الدين، ونشر تعاليمه السمحة، بعيدا عن الغلو والتفريط.

---

(1) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، تحقيق: يوسف علي بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الثالثة، 1421هـ- 2000م، ص: 186.

(2) محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الثانية، 1426 هـ -2005م، ج: 2، ص: 120.

(3) الفتح، 17.

(4) رائدة الفرائض، ص: 16.

(5) هذه اللفظة كان محلّها (فاسق) فسمعت من الشيخ أحمد -رحمه الله- أن أحد المشايخ أقسم عليه بأن يحنيها، ويضع مكانها غيرها، وقد حدّثني الشيخ محمد السوسي أن الشيخ محمد الجعفري -رحمه الله- لما قرأها ذهب إلى الشيخ محمد إسباكة -رحمه الله- وأخبره الخبر، وهو الذي طلب من الشيخ أحمد بإزالة كلمة (فاسق).

(6) المرشدة اللطيفة، ص: 24.

(7) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412هـ - 2000م، رقم الحديث: 371.

أولا- النتائج:

1- الزوي عالم لم يعط حقّه من الشهرة والتعريف، ودليل نبوغه كثرة تآليفه في مختلف العلوم، ما بين منظوم ومنثور.

2- تبين من خلال البحث أن الشيخ الزوي ماهر في النظم، له دراية واسعة في علمي العروض والقافية، استطاع نسج العلوم التي كتب فيها بطريقة سهلة ومفصّلة، وهو ما يعكس صورة جليّة لمقدرة العلماء الليبيين في نظم العلوم وتذليلها.جلّ شعر الزوي يدور حول النصح والمديح النبوي، والمديح لأشياخه ومعلّميه.

3- نهج الزوي نهج الأوائل في نسج منظوماتهم العلميّة، لم يخف في أي منها مسلكه الصوفي، وانتسابه للطريقة القادرية.

4- يستطرد الزوي من خلال عرضه للمسائل الفقهيّة؛ ليبث بعض الفوائد والنكت؛ لتحصيل الفوائد، وللتنبيه على ما قد يغفل عنه القارئ.

5- يحسن الزوي استعمال آليات التناص في شعره ونظمه، يوظف النصوص من غير تغيير أو تقديم أو تأخير، وقد يستخدم مهارته البيانية وملكته الشعري من تقديم وتأخير وغير ذلك في توظيف تلك النصوص، بشكل رائع وجميل، لا ينكرها النظم.

6- يبث الزوي الحكم في ثنايا منظوماته، على الرغم من أنها منظومات علميّة بحتة؛ ولكن تأبى الحكمة إلا أن تبين عن نفسها في ثنايا النظم.

ثانيًا- التوصيات:

1- العمل على التواصل مع أسرة الزوي لإخراج هذه الكنوز العلميّة إلى النور؛ لتحصل بها الفائدة، وتصبح في متناول طلبة العلم والدراسين.

2- إعادة طباعة ونشر منظومة (المرشدة اللطيفة) و(رائدة الفرائض)، وطباعة منظومة (الشفعة) التي لا زالت مخطوطة إلى يومنا هذا، وتوجيه البحّاث لتناول هذه المنظومات بالشرح والدراسة والنقد.

3- توحيد الجهود بين الجامعات الليبية وتوسيع دائرة إقامة مثل هذا المحفل العلمي، بحيث يكون بشكل مستمر، واستحداث جسم إداري داخل هذه الجامعات يعنى بالموروث الثقافي الليبي.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولا- المصادر:

1- أحمد شهاب الدين بن أحمد نور الدين الزوي، المرشدة اللطيفة لزائر الأضرحة الشريفة، الشركة العامة للورق والطباعة، سبها-ليبيا.

2- أحمد شهاب الدين بن أحمد نور الدين الزوي، متن رائدة الفرائض (في علم المواريث)، منشورات زاوية سيدي نصر القادرية، الشركة العامة للورق والطباعة، سبها-ليبيا، 1997م.

3- أحمد شهاب الدين بن أحمد نور الدين الزوي، فيض المنان على نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان، منشوراتطبعة خاصة بزاوية سيدي نصر القادرية، طرابلس-ليبيا.

4- أحمد شهاب الدين الزوي، فيض السلام على عقيدة العوام، طبعة خاصة بزاوية سيدي نصر، طرابلس-ليبيا.

5- أحمد شهاب الدين، منظومة (الشفعة)، وهي مخطوطة عند الباحث، عليها إجازة الشيخ أحمد الزوي.

ثانيا- المراجع:

1- إبراهيم إبراهيم هلال، ولاية الله والطريق إليها، تحقيق تقديم ابن الخطيب، الناشر: دار الكتب الحديثة، القاهرة- مصر.

2- أبو إسماعيل موید الدين الحسين بن علي بن عبد الصمد الطغرائي، ديوان الطغرائي، تحقيق: علي جواد الطاهر-يحي الجبوري، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة- قطر، الطبعة الثانية، 1406هـ-1986م.

3- أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، تحقيق: يوسف علي بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الثالثة، 1421هـ- 2000م.

4- أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري ، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، تاريخ النشر: 1419هـ.

5- أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني، الطيوريات، تحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004م.

6- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1420هـ.

7- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 2000م.

8- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعةالثانية، 1420هـ - 1999م.

9- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
10- أحمد محمد عطا، التناص القرآني في شعر ابن نباتة، ، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الرابع لكليّة الألسن جامعة المنيا، مصر، إبريل 2007م.
11- السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، 1409هـ- 1989م.
12- الطاهر العياشي أبو نوارة، مقال بعنوان (دور الشيخ أحمد الزوي في الحفاظ على الهوية الدينية الليبية) مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد: السادس (خاص2) ديسمبر 2022م.
13- عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت.
14- علي البهلول حسن، بحث بعنوان (البناء الفنّي في شعر الشويرف)، مجلة المعيار، كلية العلوم الشرعية، جامعة طرابلس، العدد: 2، يونيو 2021م.
15- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1406هـ - 1985م.
16- محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1426 هـ -2005م.
17- يحيى بن حمزة بن علي الطالبي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ.